تجلّيات الأدب العُماني المعاصر

قضايا الخطاب وتحوّلات المشهد في مرآة النقد

أ.د. فليح مضحي أحمد السامرائي

كلية الآداب والعلوم/ جامعة نزوى

الملخص

انتقل الأدبُ العُماني المعاصر نقلةً نوعية في غضون السنوات التي مرّت من القرن الواحد والعشرين، وتشكّل خطابه بموازاة الخطابات الأدبية العربية المعاصرة في مختلف البلدان العربية بأشكاله الإبداعية كافة، وحصلت تحولات ثرية في المشهد الأدبي العماني خضعت للدرس النقدي الحديث على أكثر من صعيد؛ من أبرزها الدرس النقدي العام والدرس النقدي الأكاديمي في الجامعات العُمانية والعربية، على النحو الذي يصلح لمقاربته وتقويمه في إطار ما يُصطلح عليه "نقد النقد"، وذلك لمعرفة الحدود الإبداعية التي تمكّن من التوصل إليها في مرآة النقد بما ينسجم مع القيم الثقافية والفكرية والحضارية لقضايا هذا الخطاب.لا شكّ في أنّ الخطاب الأدبي العُماني المعاصر قد استجاب للتطورات والمتغيرات الهائلة التي حصلت في السلطنة والخليج العربي وعموم المنطقة العربية، ولا سيما أنه انفتح على الآخر بمجمل صوره ونماذجه وأشكاله المتعدّدة متفاعلاً معه، على النحو الذي جعله أكثر حرية ومرونة وانفتاحاً في المجالات الإبداعية الأكثر حضوراً في المشهد؛ مثل الشعر والرواية والقصّة والمسرح، وظهرت في خضمّ هذا الحضور المتميّز كثيراً من الأسماء الأدبية لا تقل قيمة عن مثيلاتها في أنحاء الوطن العربي، وطالت نصوصَها أقلامٌ نقدية عُمانية وعربية ساعدت على انتشارها وتقديمها للقارئ العربي في كلّ مكان.يسعى البحث إلى مقاربة دراسات نقدية منتخَبَة في هذا المجال؛ أتتْ على الخطاب الإبداعي العُماني المعاصر للكشف عن طبيعة الحراك الأدبي في المشهد العماني الثقافي، من حيث القيمة الفنية والجمالية، ومن حيث القيمة الاعتبارية التي تتفاعل مع الخطابات الأدبية العربية الأخرى، على النحو الذي يؤسّس لمقاربات نقدية ثقافية تجيب على أسئلة العصر وتفحص قضاياه برؤية عقلانية ناضجة ومتطوّرة.الكلمات المفتاحية: **تجلّيات– الأدب العُماني– الخطاب– تحولات المشهد– مرآة النقد.**

إشكالية الدراسة:

تنهض إشكالية هذه الدراسة على مقاربة الأدب العُماني المعاصر من خلال طبيعة الخطاب وتحولات المشهد نقدياً، فالأدب العُماني هو جزء من الأدب الخليجي والعربي لا يختلف كثيراً من حيث البنية والموضوع، لكنه يختلف في التفاصيل التي تحظى بالدراسة التحليلية النقدية التي تعاين الخطاب في هذا الأدب، وإشكالية هذه الدراسة تسعى إلى رصد هذه التجربة وقراءتها عبر نماذج منتخَبة تمثل جوهر هذا الخطاب.

أسئلة البحث:

تتشطر أسئلة البحث في هذا المقام إلى أسئلة تتنازل الجانب الفني من الخطاب، وأسئلة أخرى تتناول الجانب الموضوعاتي من هذا الخطاب، وباستكمال أسئلة الجانبَين وحشدها في سياق واحد يمكن الوصول إلى براهين بحثية على الفروض القائمة على شكل أسئلة، والخطاب الأدبي العماني هو خطاب يحمل بين طياته رؤية عربية خليجية لها أسئلتها النوعية التي يشرع البحث في طرحها ومحاولة الإجابة عليها من خلال الظواهر والنصوص. وعلى ضوء ذلك يمكن طرح الأسئلة التالية:

١- كيف كان النقد العربي حول الخطاب الأدبي العُماني؟
٢- ما الأهداف النقدية وما طبيعة الخطاب؟
٣- كيف نقارن بين المناهج النقدية والخطاب الأدبي العماني؟
٤- ما طبيعة نقد الخطاب الأدبي العُماني بين المقالة والبحث؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحليل جوهر الخطاب في الأدب العُماني المعاصر للوصول إلى قيمته في ضوء الخطاب الأدبي العربي العام، ومن ثم الكشف عن طبيعة حضور هذا الأدب في المشهد الأدبي العربي، ومدى إسهامه في تطوير هذا الخطاب عربياً للتأكيد على أنه خطاب أساسي في المشهد وليس خطاباً ثانوياً لا قيمة له، من حيث الشكل والمضمون واللغة والموضوع ووسائل التعبير الفنية المختلفة. وعليه تكون أهداف البحث:

١- الكشف عن طبيعة حراك النقد العربي حول الخطاب الأدبي العُماني.
٢- توضيح الأهداف النقدية وطبيعة الخطاب.
٣- دراسة المناهج النقدية والخطاب الأدبي العماني.
٤- النظر في طبيعة الخطاب الأدبي العُماني بين المقالة والبحث.

منهج البحث:

لا يمكن اعتماد منهج نقدي معروف واحد وحاسم ونهائي في هذا النوع من الدراسات النقدية التي يمكن أن تصنّف في مجال (نقد النقد) على نحو ما، لكن يمكن اعتماد الصفات التي يمكن أن تتحلى به الممارسة المنهجية القادرة على الوصول إلى نتائج بحثية مقنعة، ويمكن في هذا السبيل وصف صفات البحث المنهجي في هذا البحث على أنها منهجية وصفية وتحليلية ونقدية، تقوم على الاستقراء وقراءة الأفكار وتوصيفها في سياقات بحثية يمكنها أن تستنتج الرؤية النقدية التي نقدت هذا الخطاب وتقويمها.

مدخل في الخطاب الأدبي العُماني:

انتقل الأدبُ العُماني المعاصر نقلةً نوعية في غضون السنوات التي مرّت من القرن الواحد والعشرين وحتى الآن، وتَشكّلَ خطابه بموازاة الخطابات الأدبية العربية المعاصرة في مختلف البلدان العربية بأشكاله الإبداعية كافة، وحصلت تحولات ثرية في المشهد الأدبي العماني خضعت للدرس النقدي الحديث على أكثر من صعيد؛ من أبرزها الدرس النقدي العام في الدراسات والقراءات والبحوث والمقالات في المجلات والصحف، والدرس النقدي الأكاديمي في الجامعات العُمانية والعربية حيث صار الخطاب الأدبي العُماني ميداناً لهذا الدرس، على النحو الذي يصلح لمقاربته وتقويمه في إطار ما يُصطلح عليه "نقد النقد"، وذلك لمعرفة الحدود الإبداعية التي تمكّن من التوصل إليها في مرآة النقد بما ينسجم مع القيم الثقافية والفكرية والحضارية لقضايا هذا الخطاب.بما أنّ الأدب عموماً وفي أكثر تجليات خطابه النوعي الإنساني هو "أداة من أدوات التعبير الإنساني"[١] فلا بدّ والحال هذه من التأكيد على علاقة التعبير بمرجعياته ومكوّناته وتمثيلاته، فالخطاب الأدبي العُماني على سبيل المثال هو نتيجة طبيعية إنسانية للبيئة العُمانية والمناخ العُماني والحساسية العُمانية والتاريخ العُماني، فهو يؤثّر ويتأثر ثقافياً بكل ما يحيط به إنسانياً من قضايا ومواقف وقناعات واعتقادات وغيرها، ويحاول تجسيد ذلك عن طريق انهماك الخطاب الأدبي بها وتمثيلها كتابياً.لا شكّ في أنّ الخطاب الأدبي العُماني المعاصر قد استجاب للتطورات والمتغيرات الهائلة التي حصلت في السلطنة والخليج العربي وعموم المنطقة العربية، ولا سيما أيضاً أنه انفتح على الآخر بمجمل صوره ونماذجه وأشكاله المتعدّدة متفاعلاً معه –تأثيراً وتأثّراً–، على النحو الذي جعله أكثر حرية ومرونة وانفتاحاً في المجالات الإبداعية الأكثر حضوراً في المشهد؛ مثل الشعر والرواية والقصّة والمسرح وغيرها من الفنون الإبداعية الأخرى، وظهرت في خضمّ هذا الحضور المتميّز كثيراً من الأسماء الأدبية والفنية لا تقل قيمة عن مثيلاتها في أنحاء الوطن العربي، وطالت نصوصَها أقلامٌ نقدية عُمانية وعربية ساعدت على انتشارها وتقديمها للقارئ العربي في كلّ مكان.يمكن مقاربة كتاب "شعراء عمانيون"[٢] لسعيد الصقلاوي على مستوى الهدف والرؤية والستراتيجية بوصفه حالة تأليفية القصد منها إظهار قيمة الخطاب الشعري العُماني بوجهه الطبيعي، و"لم يقصد من وضع هذا الكتاب أن يكون خروجه وفق الإطار الأكاديمي وإنما أريد منه أن يقدم المعلومة في ثوبها البسيط ونهجها الموصوف بالسهولة لتكون في متناول الجميع وفهم الجميع. فهذا الكتاب خطاب لكل الفئات وليس للخاصة منها فقط، وحديث ودّي يلامس كل الأفئدة ولا يقتصر على مجموعة بذاتها وكان لنشره على صفحات الجرائد التأثير الأقوى على تشكله في صياغته البسيطة وخطابه الذي يجرى للود أنهارا تفيض بمعرفة قديمة جديدة، إنها معرفة اعتنق فيها القديم بالجديد مناسباً المدى التاريخي لعُمان وللحضارة الإسلامية."[٣]، في الصورة التي يمكن أن تجيب على أسئلة هذا الخطاب وتتمثّل رؤيته الأصيلة في استجابته للإنسان العُماني والمزاج العُماني والروح العُمانية، واستنهاض التاريخ الشعري العُماني على هذا النحو البحثي القادر على توفير إجابات مهمة عن أسئلة هذا الخطاب.لا يمكن عزل الخطاب الأدبي العماني عن فضاء الخطاب الأدبي العربي المعاصر في جوهره الأساس، لأنّ البنية الثقافية والعقلية العربية في نموذجها الحقيقي هي بنية واحدة أو على الأقل متقاربة في تمثّل رؤيتها وقضاياها وأصولها[٤]، وهو ما يجعلنا نؤكد على نحو فاعل وأساس وجوهري "إثبات الوجود العماني بكل مكوناته وقيمه الثقافية، هذا الوجود الذي لم يتخلّف عن مواكبة النمو الحضاري العربي ولم يكن بمنأى عن التأثيرات التي ماجت بساحة الأدب العربي، وبالرغم من الضباب الذي غشى في فترة ما السماء الثقافية في عُمان إلا أن هذا أيضاً تمدد وألقى بظله على إن لعُمان مشاركة عظيمة وجليلة في صنع التاريخ الحضاري الإسلامي والعربي حيث تجلت مشاركة أبنائها في الفتوح الإسلامية في خراسان ومصر والمغرب العربي وتقلدوا كثيرا من المراكز القيادية في الدولة الإسلامية منذ بداياتها الأولى، فكان منهم قادة الجيوش، والولاة، والقضاة، كالمهلب بن أبي صفرة، ويزيد بن حاتم المهلبي، وكعب بن سور قاضي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على البصرة الخ."[٥]،على النحو الذي يدفعنا باتجاه النظر إلى الخطاب الأدبي العُماني بوصفه خطابا خاصا لكنه جزء أصيل من الخطاب الأدبي العربي.يصف صاحب كتاب "شعراء عُمانيون" كتابه في صورة "مجموعة من المقالات حول شعراء عمان، تنضم إلى ركب المحاولات الجادة المخلصة القليلة التي بدأت منذ فترة زمنية وجيزة لا تكاد تتجاوز ربع القرن هادفة إلى التعريف بالأدب العربي في عمان وكشف جانب من الحجب التي أحاطت به، وغطت جانبا كبيرا من صورته

عن القارئ العربي في فترات كثيرة. وقيمة هذه المحاولات القليلة التي ينبغي أن تمهد الطريق أمام محاولات أخرى، أنها تستند إلى رصيد حقيقي طويل من نتاج أدبي، يسندها في كل الأحوال حب غريزي للغة الجميلة، وتوق دائم للتعبير بها، ومحاولات لا تتوقف لصوغ هذا التوق في قالب شعري، يقترب من الصورة المألوفة في معظم الأحايين، ويتفرد عنها بمذاق خاص في أحايين أخرى، وقد يتأثر – وذلك طبيعي– بغية اتصاله بدائرة النتاج الشعري العام، أو بضيق الدائرة التي يتحرك فيها النقاش الثقافي من حوله، أو بعوامل أخرى جغرافية أو اقتصادية أو فكرية، أشارت لها الدراسات التي دارت حول هذا الأدب، ومن بينها المقالات الجادة التي طرحها صاحب هذا الكتاب على صفحات إحدى الجرائد الأدبية، ثم ضمها بين دفتر هذا المجلد."[٦]تنطلق هذه الرؤى في مجملها لتكريس النموذج وتفعيله على أكثر من مستوى، وهي في الوقت نفسه محاولة لرصد تجليات الخطاب الشعري العُماني ضمن الأفق العام للخطاب الأدبي العربي بكلّ مسمياته وآفاقه وحضوراته، للتأكيد على أن المحاولات الراصدة لهذا الخطاب تندرج في سياق واحد ومتكامل لتحقيق المقصد الرئيس نحو إثبات خصوصية هذا الخطاب وانتمائه في آن واحد.يعدّ الكتاب الموسوم "في الأدب العماني الحديث" ليوسف الشاروني[٧] على سبيل المثال من الكتب التي رصدت من كثب حركة الخطاب الإبداعي العُماني، وقاربت نمو الحركة الأدبية في سلطنة عمان من عام ١٩٧٠ حتى وقت صدور الكتاب عام ١٩٩٠؛ أي في مدى عقدين من الزمن، ويرصد على نحو عام تطور الحراك الشعري والقصصي والروائي في كل الأشكال التي ظهر فيها هذا الخطاب، ويقدّم الكتاب مجموعة دراسات ونماذج تشير إلى بعض ما في الأدب العماني وليس كله من خصائص نوعية ومميزات خاصة، في سياق تكريس فكرة واضحة عن هذا الأدب وتجلياته ورؤاه داخل أفق هذا الخطاب، وهي على هذا النحو دراسة أساسية في التعريف بهذا الخطاب وتنوير أجزاء كثيرة من طبقاته، على الرغم من أنه ظهر في وقت مبكّر كان هذا الخطاب في بدايات تجلّيه الحديث والمعاصر، ففي هذه السنوات بدأ هذا الخطاب بالتشكّل على النحو الحداثي المطلوب من خلال مجموعة من الأسماء الأدبية المهمة التي أثبتت حضورها في ميادين هذا الخطاب.في حين انفتح كتاب "مع الأدب العُماني، نقاشات ومداولات وتطلعات" لأحمد الفلاحي[٨] على مجموعة دراسات عن الخطاب الأدبي العُماني نثراً وشعراً، قديماً وحديثاً، بدءاً من القصص والروايات بأنواعها المختلفة وصولاً إلى المقامات بوصفها جنساً أدبيا عربيا تقليديا حاول بعضه تحديثه وتطويره. وقد طال الشعر الحديث مثلما طال الشعر الحرّ في نماذج متنوعة، ومن ثم القصيدة التقليدية في بنائها العروضي المعروف وصولاً إلى ما قبل الإسلام، وقد أشفع مقاربته بالنماذج والنصوص والأسماء.أكّد المؤلف في هذا السياق على ندرة الإشارات في كتب الأدب قديمها وحديثها حول الإسهامات العمانية الكثيرة والمهمة التي لا يمكن إغفالها في هذا المقام، داعياً الأجيال الجديدة من الأدباء العمانيين المميزين إلى الانخراط أكثر والتواصل مع دور النشر والمؤسسات الثقافية العربية، حتى لا يغمط الأدباء العمانيون حقهم في الانتشار والتفاعل وتحقيق الوجود نحو خطاب أدبي عماني معاصر ومميّز، فهم جديرون بأخذ مواقعهم في رحابة هذا الفضاء لا ينقصهم إلا قوة الحضور في الفعاليات العربية الأدبية المختلفة، وقد أثبت الأدباء العُمانيون فيما بعد جدارتهم بهذه الدعوة وقدرتهم على إثبات أنفسهم.ويعدّ هذا الكتاب على هذا النحو شديد الأهمية في الاحتفاء النوعي بهذا الخطاب، والإشارة إلى تلك التجارب والنماذج والأسماء الأدبية العُمانية التي لم تأخذ حقها من الشهرة، وهي تستحق ذلك عن جدارة إذا ما قورنت بالخطابات الأدبية العربية المناظِرة لها في المحيط الخليجي، أو في عموم فضاءات الخطاب الأدبي العربي المعاصر في البلدان العربية الأخرى كلها من المحيط إلى الخليج، وبهذا تكون مثل هذه الكتب قد ساعدت على إجلاء العتمة عن كنوز مهمة للأدب العمُاني في خطابه المعاصر.

النقد العربي حول الخطاب الأدبي العُماني:

يسعى بحثنا إلى مقاربة دراسات نقدية منتخَبَة في هذا المجال؛ أتتْ على الخطاب الإبداعي العُماني المعاصر للكشف عن طبيعة الحراك الأدبي في المشهد العماني الثقافي، من حيث القيمة الفنية والجمالية بوصفها ضرورة أكيدة لكل عمل أدبي يسعى إلى أن يحقق حضوره في المشهد الأدبي العربي، ومن حيث القيمة الاعتبارية ذات الطابع الموضوعاتي التي تتفاعل مع الخطابات الأدبية العربية الأخرى، على النحو الذي يؤسّس لمقاربات نقدية ثقافية تجيب على أسئلة العصر وتفحص قضاياه برؤية عقلانية ناضجة ومتطوّرة، تؤكد قوة حضور هذا الخطاب محلياً وعربياً.لا بدّ في هذا المجال من مقاربة المشهد الأدبي العُماني نقدياً في ضوء مستوى التطوّر الحاصل في تحولات هذه التجربة الأدبية من جهة، ومقاربة قوة حضور التجربة الأدبية العُمانية في فضاء التجربة الأدبية العربية على نحو عام من جهة أخرى، بما يعطينا التصوّر الصحيح والعادل والمناسب في قضية تقويم هذه التجربة الأدبية انطلاقاً مما كُتبَ حولها من دراسات وأبحاث خاصّة، ولا سيما تلك الكتب والأبحاث التي تقارب الخطاب الأدبي العُماني المعاصر في تجلياته الأدبية المختلفة، وتتكشف عن وعي نقدي كلي يعتني

بتجربة الخطاب ونوعيته وآفاقه وقوة حضوره في المشهد العام.يبقى النص الأدبي والظاهرة الأدبية مرهونة بما يحصل في المجتمع من تحولات على كثير من المستويات، وفي هذا السياق "لم يقف النص الإبداعي العُماني بمعزل عن التحولات التي جرت في المنجز النصي الخليجي والعربي، حيث تفاعل مع هذه التحولات نتيجة انفتاحه على الآخر، وقد تزامنت هذه مع جملة تحولات شهدتها السلطنة على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي"[٩]، على النحو الذي دفع الشاعر الراصد عبد الرزاق الربيعي –برؤيته النقدية الاستقصائية الذاهبة باتجاه تكريش الخطاب وتفعليه، وهو يغوص في أعماق هذه التجربة وتجلياتها المتنوعة– إلى القول بضرورة رصد هذه التحولات بدقة، وقد جاء هذا الرصد بحسب توصيفه "بعد سنوات من الإقامة في مسقط اقتربت خلالها من الحراك الثقافي، وقد ساهم عملي في الصحافة الثقافية بذلك كثيراً."[١٠] على النحو الذي جعل هذه المعالجة النقدية ذات الطبيعة المقالية المعبّرة عن استقراء ذوقي حرّ ومدرّب وأصيل، تأتي أكلها في التعريف الناضج برموز مهمة في هذا الخطاب.يقرّ مؤلّف كتاب "شعراء عُمانيون" الشاعر والأديب سعيد الصقلاوي في هذا السياق على منهجية واضحة ورؤية موضوعية نافذة تتحكّمان في ستراتيجية تأليف هذا الكتاب، وتتأتى من قناعة راسخة في النظر إلى الأدب العربي والشعر العربي على أساس وحدة الخطاب مهما تعددت البلدان العربية وتنوعت، "فالأدب والشعر العربي والشعراء العرب هم لسان وصوت ووجدان الأمة من خليجها إلى محيطها ولكن إبراز المساهمة العُمانية في الخطاب الحضاري العربي الإسلامي، ومساحته الشعرية على وجه الخصوص كان من أهم الأهداف التي يسعى هذا الكتاب إلى إضاءتها والتعريف بها. موطنهم الأصلي بغرض نفض غبار الزمن عن أصولهم العريقة المنتمية إلى جذور الشجرة العُمانية أياً كان تمددها في بغداد، والبصرة، ومصر، وزنجبار، والمغرب العربي، وخراسان، وغيرها .... واستدعى ذلك الاستعانة بعدد لا بأس به من المصادر المتنوعة والمراجع المتعددة"[١١]، بما يعني أنّ الخطاب العُماني هو جزء من الخطاب العربي الذي يتميّز بشبكة مميّزات تجعله خطابا عربيا بامتياز، لكن المطلوب في مقصدية هذا الكتاب هو إبراز حصة الخطاب الأدبي والشعري العُماني في تطوير الخطاب الأدبي والشعري العربي.إنّ هذه المعالجة النقدية الرؤيوية التي تقوم على الإحاطة الكاملة والشاملة بجوانب ومرجعيات الحطاب؛ من شأنها أن تضع الأمور في نصابها وتحقق المبتغى المُراد منهجياً ورؤيوياً، وتنجز المقاصد متمثلة في مجموعة من النتائج النقدية التي ترى الأشياء بمنظار نقدي مكتمل من حيث الواقع الأدبي الراهن، ومن حيث المدى الذي يمكن أن يمتدّ فيه هذا الخطاب على وفق تطوّر أدبي وجمالي مستمرّ وفاعل وأصيل.[١٢]، يأتي على مجمل الحراك الثقافي والفكري ويحاول تمثيله عن طريق الأجناس الأدبية المختلفة.لا ريب في أنّ محاولات التعريف بأدب أصيل وحيوي مثل الأدب العُماني لا يمكن أن يستكمل شروطه العلمية إلا من خلال رؤية نافذة وفاحصة ودقيقة، تأخذ بنظر الاعتبار الصورة الكلية على مستوى الأجناس الأدبية المتداولة بقوة في الوسط الأدبي العُماني من جهة، والأسماء الأدبية المهمة التي استطاعت أن تكرّس حضور هذه الأجناس عُمانياً وعربياً من جهة أخرى، ويمكن النظر إلى محاولة الربيعي في سياق ومحاولة الصقلاوي في سياق آخر بوصفهما محاولتين مركزيتين على مستوى الإشارة والإحالة والتقويم والتنبيه والإحاطة في حدود ما تنازلاه من قضايا وتجارب ورؤى.لا يكتفي الشاعر سعيد الصقلاوي وهو يقدّم هذا الكتاب المهم "شعراء عمانيون" بالتقديم المجرّد العابر لمجموعة مهمة من شعراء عُمان عبر التاريخ العربي الإسلامي في عصوره المختلفة، بل يتجاوز ذلك إلى تقرير موقف نقدي من قضايا مهمة على صعيد تقويم الموقف الشعري العُماني العام، ووضع مرافعة نقدية واضحة يدافع فيها عن منهجه القائم على رؤية علمية وذوقيه في الوقت نفسه حين يقول: "لا أعتقد أيضا أن هذا الإنتاج الكتابي هو المحاولة الأولى للتعريف بالشعر أو الأدب العماني ولكنه يأتي ضمن تداعي المحاولات وتتابعها فمنها من كان له شرف الانطلاقة ومنها من يكون له شرف الإضافة والرفد المعرفي، ولكن يبقى لكل محاولة طابعها الخاص ومنظارها الفكري المتميز الذي تبصر من خلاله فضاء العمل الأدبي، وتستكشف جواهره وآلاءه."[١٣]، برؤية نقدية عميقة وعارفة تدرك قيمة ما قامت به من عمل له مبرراته ودواعيه ومقاصده الكبيرة، في ظلّ وعي متقدم لأهمية هذا الخطاب الأدبي العُماني المعاصر وضرورة التعريف به بقوّة.إنَّ خصوصية البيئة العمانية بتحولاتها الحديثة فرضت واقعاً جديداً لا بدّ أن يؤثر على طبيعة الخطاب الأدبي في السلطنة، فالهوية الأدبية أو الشعرية العُمانية تبلورت من جديد بفعل ما حصل من تطور جديد في الشخصية العُمانية، وانعكس هذا بطبيعة الحال على النتاج الأدبي والجمالي في مختلف الفنون المعروفة، إذ إنّ عُمان خضعت ثقافيّاً "لتحولاتٍ تاريخيّة واجتماعيّة عميقة على مدى القرن الماضي نتيجة انفتاح البلد على ثقافات وآداب أُخرى، وقد وضع هذا الأمر البلد على مفترق طريق شائك بين هياكل اجتماعية وثقافية تقليدية متجذرة في الهويّة العمانية، وأُخرى جديدة تتوق إلى التقدّم والتطوّر"[١٤]. وضمن هذه الرؤية لا بدّ من العمل على استكشاف واستشراف الآفاق المطلوبة لوصف هذا الخطاب وتحديد معالمه الأساسية، بعد أن خاض في تجربة الحداثة على أكثر من مستوى حضاري وفي مقدمته الخطاب الأدبي الأكثر استجابة

لهذه التجربة.تعكس هذه الرؤية حجم القضية الشائكة التي يخضوها الخطاب الأدبي العُماني المعاصر في إشكالية الخصوصية والانتماء،فثّمة نوع خفي من الصراع الثقافي والفكري والأدبي بين النزوع إلى التحرر لدى كثير من أدباء عُمان، بحكم الانفتاح على نماذج أدبية وفنية ذات طبيعة مختلفة عن المألوف في الساحة الحضارية العُمانيّة، يتوق هؤلاء الأدباء العُمانيون المعاصرون إلى التواصل معها والانخراط في فعالياتها الإبداعية، لكنه في الوقت عينه توجد موانع ذات طبيعة اجتماعية قد تحدّ من هذا الاندفاع أحياناًيمكن وصف هذا الصراه بأنه صراع جدلي ثري وخصب يمكن أن يفضي إلى ولادة أدب عُماني جديد يؤسس لخطاب أدبي جديد، في ظلّ حضور أدباء مهمين في مختلف الأجناس الأدبية المعروفة والمتداولة؛ يقاربون الفضاء الأدبي العُماني داخل الفضاء الأدبي العربي العام، ولا يقتصر هذا العمل النقدي على الأدباء العمانيين فقط بل يمتد إلى عموم الأدباء العرب الذين يعتقدون بأهمية هذا الخطاب من النواحي كلها.

الأهداف النقدية وطبيعة الخطاب:

تبدأ الممارسة النقدية عملها التحليلي والتأويلي على النص بعد أن يؤمن الناقد بأن النص الذي يتناوله هو من الاكتمال بمكان بحيث يصلح لهذه المقاربة، ويتأتى هذا الفهم من قناعة راسخة تعاين النص بوصفه حالة تحوّل "من عدم إلى وجود، ومن سكون إلى حركة، ومن اعتباطية إلى دلالة، هو استحالة من مفرد إلى مركّب، ومن لغة إلى أسلوب، ومن عَدَم إلى وجود، ومن مجرد سمات لفظية إلى هيئة عمل أدبي مكتمل، إلى نص عظيم"[١٥]، على نحو يجعل من الخطاب وسيلة لتحقيق الأهداف النقدية المطلوبة من كل ممارسة نقدية واعدة كما هي الحال في مقاربتنا للخطاب الأدبي العُماني.تعرض كل دراسة نقدية تحاول مقاربة الخطاب الأدبي العُماني الحديث لمجموعة من الأهداف التي تتوخى تحقيقها على نحو أو آخر، سواء على مستوى الإحاطة أو الانتقاء أو التركيز من حيث الموضوعات والأدوات والقضايا الكبرى والصغرى، وقد سعى كتاب عبد الرزاق الربيعي بما قدّمه من قراءات تقوم على الجانب الوصفي التحليلي حيث التركيز على معالم الإبداع في النص الأدبي العُماني، وإذا ما قاربنا رؤيته النقدية في عموم المقالات التي حواها الكتاب سنجد أنه يجتهد في أن يستنتج مجموعة من العلامات المميّزة في تجربة النص العُمانيّ، بجميع أجناسه الأدبية المعروفة والمتداولة سعياً وراء تكريس الرؤية المطلوبة في إضفاء القيمة الأدبية الجمالية على هذه التجربة.في حين قدّم كتاب الصقلاوي رؤية مختلفة تعنى بالجانب التوثيقي والتاريخي فضلا عن الجانب الجمالي، وبذلك يمكن النظر إلى الكتابين بوصفهما يحملان رؤية موحدة في نهاية الأمر تصبّ في محتوى التعريف النوعي بالخطاب الأدبي العُماني، وهو ما يجعل منهما ومن الكتب الأخرى التي تحذو حذوهما وسيلة مهمة من وسائل كشف جماليات هذا الخطاب، وتأثره وتأثيره في الوسط الثقافي والاجتماعي العُماني.يمكن القول إن كتاب الربيعي وكتاب الصقلاوي على سبيل المثال قدّما رؤية عامة يمكن من خلالها التوصل إلى الإحاطة بمجمل الحركة الأدبية في سلطنة عُمان، عبر محاولة الوصول إلى نتائج عامة تقول كلمتها في تقويم حدود الخطاب الأدبي العُماني بشكل عام، على الرغم أن هذا الموضوع كي يكتمل على صورته الفعلية المطلوبة يحتاج دائماً إلى رفد مستمر، من خلال دراسات متنوعة الرؤى والمناهج والستراتيجيات كي تتمكن من وضع الأمور في نصابها الصحيح بطريقة موضوعية، تجيب على الأسئلة النقدية الكبرى المتعلقة بطبيعة الخطاب والظاهرة والنص والمكونات الأخرى المتعلقة بالتجربة.ينبغي أن يحصل هذا بالمعنى الذي يجعل من هذين الكتابين نقطة انطلاق نحو عمل نقدي جماعي مستمر يهدف إلى تطوير مستمر للرؤية النقدية حول الخطاب، والعمل على مضاعفة التركيز حول النماذج العليا التي لها تأثير على مستوى الخطاب الأدبي العربي العام، وإحداث قدر من التفاعل بين الخطاب الأدبي العُماني والخطاب الأدبي العربي على هذا الصعيد وعلى الأصعدة الثقافية المتاحة جميعاً.لا بدّ في مثل هذه الدراسات التي تتناول خطابا أدبيا يخص تجربة وطن كامل من الانتقاء، الذي يقتصر على تناول تجربة أدبية بعينها وتكثيف الممارسة النقدية عليها من جوانبها كافة ضمن إطار الجنس الأدبي أو الظاهرة الأدبية، للوصول إلى نتائج خاصة ربما يمكن تعميم قسم منها على الخطاب الأدبي العُماني بصورة عامة، لكنها لا يمكن أن تجيب على كل أسئلة هذا الخطاب بجميع تفاصيله ومرجعياته وغاياته، فالتركيز على قضية أدبية واحدة برزت على نحو خاص في تجربة الأدب العُماني يعدّ قضية نقدية أساسية في هذا المضمار، حين يقود هذا التركيز إلى جعل القضية التي ينتخبها الدارس محورا للدراية والتحليل بغية الوصول إلى نتائج خاصة، سواء على مستوى الموضوعات التي تتم دراستها أو على مستوى النصوص التي تتم معالجتها أو على مستوى الأسماء الأدبية التي تخضع للدرس النقدي، على النحو الذي يحقق طبقة من طبقات المقاصد الدراسية في هذا المجال.يقول عبد الرزاق الربيعي وهو يتناول الخطاب الأدبي العُماني من خلال نماذج منتخَبة وجدها صالحة للمقاربة: "شيئاً فشيئاً تكوّنت لدي مقالات ودراسات وقراءات في كتب لعل أبرز ما فيها هو محاولتي بتقديم صورة عن المشهد الإبداعي العُماني وتحولاته، وقد جعلت النص نقطة انطلاق واضعاً باعتباري الصيحات التي أدانت المناهج السائدة في النقد الغربي معتبرة إياه خطابا متعاليا مفضلة الوقوف بجانب النص الذي

يبقى ملاذنا ومرجعيتنا الأولى، رغم أنه أهيل عليه تراب النقد وخنقة الغبار، ومن بين هذه الصيحات مدوية صيحة الناقد الفرنسي تزفيتان تودوروف صاحب كتاب (الأدب في خطر) لتسمع من به صمم، واضعا يده على الكثير من العلل مطالباً الفصل بين الأدب والقرّاء، وقد عدّ الباحثون هذه الصيحة ثورة على المقاربات الشكلانية والبنيوية والسيميائية، ورأى الباحث حسن عبد الرزاق "أن هذه الدعوة التودوروفية الهادفة إلى العودة لبواطن النص وما يمكن فيها من قيم جمالية وفكرية تمثل في جانب منها اعترافا علنيا بفشل تلك المناهج في توسيع الحضور المؤثّر للأدب داخل المجتمعات وعزله في مساحة حياتية ضيقة جداً، بعد أن تعاملت مع القشرة الخارجية للنصوص على حساب اللب؛ فقدّمت للمتلقي ولمنشئ النص معاً ما هو ثانوي في الأهمية ولا يرتقي إلى مستوى الهدف الأساسي في عملية إنتاج النص وتلقّيه".[١٦] تمثل هذه الرؤية النقدية الأدبية جوهر العمل المهم الذي قام به الربيعي لتقديم صورة وافية عن طبقة من طبقات الخطاب الأدبي العُماني المعاصر، في حين يعبر سعيد الصقلاوي في تجربته الكتابية النقدية حول الشعر العُماني عن رؤية استشرافية أخرى بقوله: "إن هذا الإنتاج الكتابي عن شعراء عمان ليس نهاية المطاف بل هو بدايته نحو استمرارية نطمح خلالها الحديث عن أكبر قدر من شخصيات الشعر العُماني في مختلف عصوره، متناولين التأثيرات الفاعلة والتيارات المؤثرة في أعمالها الإبداعية ومدى تأثيره في المسار التاريخي والظواهر الاجتماعية ورصد الملامح الفكرية والإنسانية، بغرض تأصيل المساهمة العمانية في موكب الحضارة العربية الإسلامية بشكل خاص والعالمية بشكل عام."[١٧]تتلاقى هاتان الرؤيتان مع رؤى أخرى عكفت على مراجعة الخطاب الأدبي العُماني المعاصر من زوايا نظر ومعالجة أخرى، وجدت أن التحولات التي حصلت في الجانب الاجتماعي والثقافي العُماني كان لها التأثير البالغ على هوية الخطاب الأدبي، إذ إنّ "هذه التحوُّلات أسَّست لصراع هوية تجلَّى، بشكل رئيسٍ، في الحساسية وفي الأشكال الإبداعية المختلفة للكتّاب العُمانيّين، وفي نصوصهم الأدبية، سواء كانت شعراً أو رواية أو قصة قصيرةً، والتي يمكن وصف بعضها بالنوافذ التي تطل على العالم الخارجي، وتتجاوز حدود الهوية، وتسعى إلى معرفة الآخر؛ في حين كانت بعض النصوص الأُخرى بمثابة مرايا تعكس الواقع العُماني وتحاول أن تراه من داخله وأن تصف كل ما يحيط به[١٨]"، وبين هذا وذلك تتسع رؤيتنا للخطاب الأدبي العُماني المعاصر من خلال تراكم المراجعات والمقاربات النقدية لهذا الأدب، بالشكل الذي يكشف عن جوهر الخطاب وإمكاناته الأدبية المتنوعة القادرة على تمثيل الرؤية الحضارية العُمانية والاستجابة لمنطلقاتها وقيمها الكبرى.

المناهج النقدية والخطاب الأدبي العماني:

تتعدد المناهج النقدية وتتنوع بحسب طبيعة الناقد الذي يتناول قضية أو ظاهرة أو نص أو تجربة بحاجة إلى رؤية منهجية معينة، والمنهجية تحفظ للدرس النقدي حقيقته العلمية التي تنقذه من الشطط والهوى وعدم الموضوعية، فلا بدَّ على هذا النحو "من استخدام المناهج في النقد الأدبي، ولا بدّ من أن نعرف أن لكل منهج خصوصيته ووظيفته، وما يجعلنا نختار هذا المنهج، أو ذاك هو الهدف الذي نريد تحقيقه. هذه الحقيقة تجعلنا نقرُّ بـ«تعدُّدية» المناهج وتكاملها، فلكل باب طريقه، وتعدُّد الأبواب يقضي بتعدُّد الطُّرق، والمهم أن يمتلك الناقد «عدَّته» اللازمة والكافية، وأن يتقن عمله، فإتقان العمل أمر عبادي، كما يُفهم من الحديث الشريف في هذا الشأن"[١٩].تقوم مناهج النقد على فعالية التجربة النقدية المرتكزة على حيوية العقل النقدي في السبيل نحو تشكيل الخطاب على النحو المطلوب، إذ "إن تجربتنا النقدية لن تتطور تطورا حقيقيا ما لم تتحرك عقولنا حركة فعلية بحيث تكون أفكارنا النقدية نتاج هذه الحركة داخل عقولنا"[٢٠]، وهو ما يجعل أية ممارسة نقدية في أي مجال من مجالات المعرفة الأدبية ذات صلة وثيقة بالعقل الراعي للتجربة والممهد لنموها وتطورها، وغالبا ما يفصح صاحب العمل النقدي عن تجلي عقليته في ممارسته من أجل الكشف عن طبيعة الهدف الذي يرمي الوصول إليه، في إطار تقصّي المعلومة وفحصها والتدقيق في صحتها وحيويتها وفائدتها في المجال النقدي الذي يعمل فيه ويستوفي شروطه العلمية.يمكن فحص مقدمات الكتب النقدية التي اشتغلت على الأدب العُماني الحديث للكشف عن هوية المناهج التي يستخدمها أصحابها في هذا المضمار، ولا سيما إذا صرّح قسم منهم بهوية المنهج وأسباب اختياره وطريقة اشتغاله على النصوص الأدبية، وغالباً ما تكون مقدمات هذه الكتب المساحة الأكثر إغراءً لبحث القضية المنهجية وتداولها، وبما أننا اخترنا لهذا البحث دراستين مهمتين قاربتا الخطاب الأدبي العُماني المعاصر على نحو مركّز، فإننا سنحاول فحص المقولات الأساسية التي قامت عليها هاتان الدراستان للربيعي والصقلاوي، للنظر في طبيعة هذا الخطاب وتمثلاته وعناوينه وفرسانه وآلياته وتقاناته ومقاصده وممارسات النقدية، في ظلّ الصورة العامة التي كشفت عنها كل دراسة منهما، والأسلوبية التي اعتمدتها على المستوى الرؤيوي والمنهجي.إنّ أية قراءة لا بد أن تنطلق من عتبة النصوص الإبداعية كي تأتي النتائج صحيحة وحقيقية تمثل واقع الخطاب وتجلياته الإبداعية، و"من هنا يأتي تأكيدنا على النص، لتكون القراءة النقدية إبحاراً في عوالمه، كشفاً عن بواطنه، إصغاء لإشاراته، مفضلاً موقع "القارئ" على موقع "الناقد". فالقارئ حسب نظريات النقد الحديثة يتفاعل مع النص وصولاً إلى المشاركة في إنتاجه، أما الناقد

فيظلّ مراقباً للعملية من موقع علوي"[٢١]، ولا شكّ في أنّ القارئ هنا لديه مقاصد نقدية غير معلنة لكنها ترتقي إلى منصة النقد باعتبار أن القراءة وجه أصيل من وجوه النقد حتى ولو زعمت غير ذلك، فالمقصد القرائي هو مقصد نقدي في نهاية المطاف يسعى إلى الاستكشاف والتحليل والبرهنة على فرضيات بحثية مسبقة.يعبّر سعيد الصقلاوي في منهجيته التي اتبعها في كتابه المهم "شعراء عمانيون" عن رؤية ناضجة في مقاربة الخطاب الأدبي العُماني المعاصر في مجال الإبداع الشعري على نحو مخصوص، إذ يصف عمله في هذا الكتاب بأنه مجموعة مقالات ظهرات على صفحات الصحف على وفق رؤية مسبقة ذات طبيعة تداولية فيقول: "هذه المقالات تأخذ مكانها المميز بين أخوات لها سبقتها في الظهور الزمني، ولكنها لم تستأثر دونها بكل مواطن الريادة ولم تحجب كثيرا من نقاط التفرد، وإذا اقتصرنا على الإشارة إلى ما كتبه أدباء عُمانيون معاصرون حول الشعر في عمان من قبل، فسيرد على الذكر مجهود ينتمي إلى النمط الذي تتبعه هذه المقالات، وأعني به البدء بطرح الدراسة على جمهور واسع من خلال صحيفة يومية، واصطناع لغة ومنهج يقتربان بالضرورة من لغة الصحافة ومنهجها ويبتعدان قليلا عن طرائق الدراسات الأكاديمية بتمهيداتها وتعليقاتها وحواشيها ومراجعها، مع محاولة ألا يؤثر ذلك البعد على جدية التناول وعمق القضايا."[٢٢]تناولت دراسات ومقاربات كثيرة الأدب العُماني المعاصر على نحو عام، والأجناس الأدبية المتنوعة التي عرفها هذا الأدب على نحو خاص، وقد حظي الشعر العُماني الحديث بالقدر الأهم من العناية النقدية فقدّم الدكتور ضياء خضير على سبيل المثال دراسته المعنونة "وردة الشعر وخنجر الأجداد، دراسة في الشعر العُماني الحديث"، وهي دراسة نقدية هامة في الشعر العماني الحديث عدّها كثير من النقاد واحدة من أهم الدراسات في الحداثة الشعرية، سواء على مستوى المنهج النقدي الذي قارب فيه الظواهر والنصوص أم على مستوى الإجراء النقدي التطبيقي في سياق التحليل والتأويل.[٢٣] تعمل هذه الدراسات وسواها على تكريس الرؤية الجمالية للخطاب الأدبي العُماني المعاصر من وجهات نظر مختلفة، وعلى الرغم من تباين واختلاف هذه الدراسات على مستوى الرؤية والمنهج غير أنّها تسهم إسهاماً فاعلاً في التعريف بهذا الخطاب، وتؤكّد على قيمته الأدبية والثقافية سواء على مستوى السلطنة أو على مستوى المشهد الأدبي والثقافي العربي المعاصر، في سياق تمثّل الحالة العُمانية والوضع العُماني والخصوصية العُمانية تاريخيا وراهنا ضمن فضاء أدبي خلاق يتفاعل مع الزمن والمكان على نحو غزير.

الرؤية التحليلية النقدية للخطاب الأدبي العُماني:

يمكن النظر إلى العملية النقدية الخاصة بتحليل النصوص الأدبية وتأويلها بوصفها ممارسة إجرائية تطبيقية، تقدّم نفسها وهويتها من خلال الدخول إلى ميادين النصوص والكشف عن جمالياتها وخصائصها الأسلوبية والتعبيرية والتشكيلية، أما الجانب النظري فهو جانب فلسفي غالباً ما يقوم في النقد العربي على الأخذ من الآخر، لذا يتوجب توسيع حجم القراءة النقدية التطبيقية لتوفير فرص نجاح نقدية تضيء التجربة الإبداعية في صنوفها شتّى، ومن بين النشاطات النقدية ذات الطابع الرؤيوي التحليلي تلك الكتب التي تُعنى بوصف التجربة الأدبية في مناحٍ إبداعية مختلفة، تبتغي وضع هذه التجربة في سياقها الطبيعي مع التجارب الأخرى المجاورة بما يحفظ وحدة الخطاب وقيمته.

بما أن "النص الأدبي فعالية لغوية بامتياز"[٢٤] على صعيد التشكيل والتعبير فإنّ معالجة الخطاب الأدبي على وفق رؤية تحليلية نقدية تبدأ من عتبة اللغة، لأنها هي التي تؤسس للتفرّد والتميّز الذي يختلف به خطاب أدبي عن خطاب أدبي آخر، وإذا ما فحصنا الرؤية النقدية التي نهضت عليها مقالات عبد الرزاق الربيعي في كتابه حول الأدب العُماني، سنجد أنّه يولي اللغة أهمية كبيرة في كل ما يتعالجه من قضايا تتعلق بالخطاب الأدبي العُماني على وجه الخصوص، في الوقت الذي حاول في هذا الكتاب أن يحيط بالتجربة الإبداعية العُمانية في نماذج منتخَبة يمكن أن تعطي صورة ما عن طبيعة هذا الخطاب وحيويته، سواء عن طريق أسماء الأدباء أو طبيعة الظواهر أو حيوية النصوص.

فهو يعبّر عن ذلك بقوله: "حاولنا في هذا الكتاب أن نقدّم قراءات لعدد من التجارب الشعرية والسردية والمسرحية العُمانية إظهاراً لجماليات تلك النصوص احتكاماً للتذوّق، وجاءت هذه المقاربات على مراحل مختلفة لتجارب مختلفة، والبعض منها قدّم في جلسات تطبيقية في مهرجانات وملتقيات ثقافية ومسرجية، كما لا بدّ من الإشارة إلى أنّ بعضاً منها نشر في عدد من المجلات الثقافية المتخصصة ومن بينها مجلة "نزوى"، أو في الملحق الثقافي "آفاق" الذي كان يصدر عن جريدة "الشبيبة".[٢٥]، ويستدرك في هذا المقام على مجموعة من المقالات التي لم يتمكّن من الحصول عليها بسبب الفقدان بقوله: "ولا يسعنا في هذه العجالة إلا الاعتذار لأصحاب بعض المقالات التي فقدت مني، لذا سقطت من هذا الكتاب الذي يظلّ الهدف منه هو التعريف بتلك التجارب والغوص في عوالمها"[٢٦]، لكنّ ما قدّمه في هذا السبيل يعدّ محصلة وافية لما يريد أن يقدّمه من فضاء أدبي مكوّن للخطال الأدبي العُماني.يمكن أن يقال الشيء نفسه عن كتاب سعيد الصقلاوي "شعراء عُمانيون" حول منهجيته النقدية في تصوير الخطاب الشعري العُماني عبر المراحل التاريخية العربية المختلفة، فقد "حاولت مقالات سعيد

الصقلاوي التقدم خطوات في سبيل هذا الهدف، فكانت من ناحية التوازن العددي وسطاً بيت الإيجاز هنا والتوسّع هناك حين قدمت التعريف بأكثر من ثلاثين شاعراً نمتهم إلى عمان، وكانت في لغتها ومنهجها ثمرة لطبيعته وثقافته التي أفاد فيها من كثير ما أتيح له من موارد المعرفة، واستجابة للمعرض الذي قدمت فيه أولا وآخرا حين أخذت طريقها إلى القارئ من خلال صحيفة أدبية ثم من خلال كتاب عصري. ولا بدّ من الإشارة إلى طبيعة الكاتب وثقافته التي تشي بها كثير من سطور الكتاب، فهو واحد من الأسماء اللامعة بين الشعراء العُمانيين المعاصرين والمساهمين في محاولة الارتقاء بمستوى الأداء الشعري من خلال النص المقروء، والذي يألفه منه قارئ الشعر في عمان منذ ما يقرب من عقدين من الزمن نشر خلالهما كثيرا من نتاجه الشعري منجما ثم مجمعا في دواوين عرف بعضها طريقه للظهور وبعضه قيد الإعداد، كما كان أحد المساهمين في محاولة توسيع رقعة الرسالة الشعرية والوصول بعطائها من خلال عون الفنون الأخرى إلى إمتاع الأذان، وفي هذا الصدد فإن كثيرا من قصائده عرفت طريقها إلى الأغنية العمانية الحديثة."[٢٧]، وبهذا يكون الصقلاوي قد قدّم رؤية شمولية بانورامية عن صورة الخطاب الشعري العُماني على مرّ عصور الشعرية العربية، بوصفه نموذجا مخصوصا بالشعر وممثلاً للخطاب الأدبي العُماني بشكل عام.إنّ ما قام به الصقلاوي في كتابه "شعراء عُمانيون" يمكن أن يوصف بأنه عمل نقدي متكامل وضع الشعر العُماني في مشهدية واضحة تاريخيا وإبداعيا، ويمكن أن يكون هذا الكتاب ركيزة أساسية لدراسة الخطاب الشعري العماني انطلاقا من معرفة جذوره التاريخية من جهة، وإدراك قيمته الشعرية من الناحية الفني والجمالية والموضوعية من جهة أخرى، في حين سعى عبد الرزاق الربيعي إلى معالجة نقدية للخطاب الأدبي العُماني المعاصر حصراً من دون أية قيود تاريخية أو موضوعية، واحتكم إلى مزاجه النقدي الخاص في فحص النصوص والظواهر الأدبية في مختلف الأجناس المعروفة والمتداولة في الخطاب الأدبي العُماني.يقارب عبد الرزاق الربيعي على هذا النحو المشهد الأدبي والشعري العُماني في أكثر من مناسبة سعياً وراء وضع هذه المشهد في مكانه اللائق الصحيح، فيصف هذا المشهد بأنه "مشهد متنوّع موّار بالحركة، غني بالتجارب التي تستند إلى إرث شعري يمتدّ عميقاً، هذا المشهد وهو منفتح على هواء القصيدة الحديثة بكلّ تجلياتها، ورغم علاماته الواضحة في المشهد الشعري العربي يظل الدرر كامناً في أعماقه، فهو مثل جبل الجليد ثلثاه غاطس وثلث منه ظاهر، بسبب قصور في الجانب الإعلامي، وتواضع وزهد متأصل في الشخصية العُمانية عن الظهور"[٢٨]، بالمعنى الذي يؤكّد حيوية الخطاب الشعري العُماني وهو المحكّ الأدبي الأول والأبرز للخطاب الأدبي العُماني بشكل عام.لا تقف الرؤية التحليلية التي يحاول كثير من الباحثين تقديمها لفحص الخطاب الأدبي العُماني المعاصر عند مجال معين أو محور محدد، بل تجتهد في مجموعة من المقاربات الحيوية التي تطال الأجناس الأدبية الفاعلة في المشهد العُماني الأدبي الحديث، وإذا كان الشعر يأتي دائماً في مقدمة هذه الخطابات فإنّ الساحة الأدبية العُمانية قدّمت القصة والرواية والمسرح أيضاً، وسيكون لتنوع الخطاب الأدبي العُماني الدور الأبرز في رفع شأن هذا الخطاب بموازاة ما يحصل من تقدّم وتطوّر في الخطابات الأدبية العربية الأخرى، مع ما يمتاز به الخطاب الأدبي المعاصر من خصائص ومميزات وسمات على الصعيد التاريخي من جهة؛ والصعيد الراهن من جهة أخرى.

نقد الخطاب الأدبي العُماني بين المقالة والبحث:

تنقسم الفعالية النقدية التطبيقية على أساليب كثيرة ترتبط بطبيعة كل ناقد وتكوينه ومرجعياته ومنهجه ورؤيته ومقاصده الخاصة والعامة، لكنّ الملاحظ على التجربة النقدية حول الخطاب الأدبي العُماني الحديث هو غلبة النشاط المقالي على النشاط البحثي، وذلك بحكم عوامل عديدة وكثيرة لا يمكن حصرها بسهولة، غير أن هيمنة المجلات والصحف ووسائل التواصل الاجتماعي على الفضاء النقدي العربي أدت إلى تفوّق المقالة على البحث، على الرغم من أن السنوات الأخيرة شهدت حضور مجموعة مهمة من الدراسات الأكاديمية الجامعية التي قاربت الأدب العُماني، على مستوى الظواهر الأدبية أو على مستوى الشخصيات الأدبية التي تناولت تجارب أدباء بعينهم.إنّ الطبيعة الذاتية والثقافية للكاتب والشاعر سعيد الصقلاوي وهو يبحث في تاريخية الشعر العُماني وجمالياته هي "التي ساعدته دون شك على تلمس بعض جوانب إسرار الإبداع الفني عند الشعراء الآخرين، تدعمها طبيعة علمية تواتيه بها ثقافته المهنية كمهندس معماري من شأنه التخطيط والتنسيق والاهتمام بالتفاصيل والمؤثرات والتذوق الجمالي الذي قد يتلقى في عمقه معمار البناء الهندسي والبناء الفني. إن كل هذه المعطيات تساعد هذه المقالات على أن تجد لها مكانا متميزا في مجال التأريخ لشعراء عُمان، نأمل أن تكون قد أحسنت الحلول به، وتساعد الكاتب على أن يجد طريقا إلى نفس القارئ، نأمل أن يكون قد تلمسه، لنتقدم من خلال ذلك جميعا خطوة جديدة في التعرف على شعراء عمان."[٢٩]، وكتابه يتجاوز حدود الكتابة المقالية العابرة إلى مشروع أدبي يتحلّى بكل المواصفات الواجب توفرها في المشروع، من أجل أن يصل إلى جوهر الهدف الذي يسعى إليه على وفق رؤية عارفة وأصيلة وفاعلة تدرك ما تفعل، وتسهم في تطوير العمل النقدي في مسيرة طويلة تراكمية لا

تقف عند حدّ معين، بل تستمر في تأسيس نظم عمل بحثي مثمر على الدوام.يجب أن يحمل العمل النقدي الهادف كثيراً من المقومات التي تجعل منه عملاً تنويريا وطليعيا قادرا على الإنتاج، من خلال "فعل وصفي تقويمي للعمل الأدبي، يقوم به الناقد بوحي من توجهه المسؤول في الكشف عن قيم الحق والخير والجمال في الحياة والمجتمع"[٣٠]، وعن الصورة الكلية للخطاب الذي يمكنه أن يحقق الفرضيات البحثية التي قام ببحثه من أجل البرهنة عليها في مسيرته البحثية المجدية، ولا سيما في "جدل الأدب والتغيير بفعل علاقة الأدب بالدولة، وعلاقة الأدب بالواقع، الأول حرية التعبير والثاني جماهيرية الأدب أو شعبيته"[٣١]، وما تعكسه هذه المعادلة الأدبية المكوّنة لحقيقة الخطاب من رؤية أدبية بوسعها الإجابة على الأسئلة الكبرى في هذا الميدان.لا بدّ من الإشارة إلى فضاء الخصوصية الحياتية العُمانية وتأثيرها في صوغ الخطاب الأدبي العُماني ضمن سياق ما يصطلح عليه بـ"الهوية"، فالهوية العُمانية المتعلقة بالخطاب الأدبي لها علاقة بالهوية الثقافية الاجتماعية في هذا السياق، فعلى سبيل المثال "ظلّ العُمانيون إلى يومنا متفرّدمين بـ"الْمَصَرُّ" ليصبح هوية راسخة للعُماني يتوارثها جيلاً بعد جيل، وهي جزءٍ من تاريخه الطويل، وثقافته العريقة، وتوجد في السلطنة أنواع عديدة من هذا "الْمَصَرُّ" بحسب المناطق"[٣٢]، وعلى الرغم مما قد يبدو على هذه الإشارة من بعد عن جوهر الخطاب الأدبي العُماني؛ لكنّ الحقيقة أن قضية الانتماء والإيمان بالخصوصية المحلية تنعكس بصورة أو أخرى على الميدان الإبداعي، ويمكن فحص هذه القضية في الأدب العُماني في دراسة أنثروبولوجية إبداعية تكشف عن هذه العلاقة التي نعتقد أنها ستصل إلى نتائج مهمة في هذا الميدان.يندرج كتاب سعيد الصقلاوي "شعراء عمانيون" في إطار الكتب النقدية التعريفية بالمرجعية الشعرية للخطاب الشعري العُماني، ويجتهد الصقلاوي في التعريف بمجموعة من الشعراء الذين ينتشرون على مساحة زمنية واسعة تبدأ من العصر الأموي وقد تمثّل ذلك بالشاعر ثابت بن عبد الرحمن بن كعب (ثابت قطنة) والشاعر كعب بن معدان الأشقري، ثم يأتي على طائفة من شعراء العصر العباسي، حيث بلغ الشعر العربي أزهى عصوره في ظلّ التطوّر الحاصل في مختلف مناحي الحياة الحضارية، مثل الشعراء أبو عيينه بن محمد المهلبي وإبراهيم بن محمد بن عرفة (نفطويه) وأحمد بن سليمان بن عبد الله (ابن النظر) والخليل بن أحمد الفراهيدي وعبد الله بن محمد بن أبي عيينه ومحمد بن يزيد بن عبد الأكبر (المبرد)، ومحمد بن الحسن بن دريد الأزدي ويزيد بن محمد والحسن بن هارون بن عبد الله (الوزير المهلبي)، وهم يمثّلون الكوكبة الأولى من الشعراء الذين ينتمون بشكل أو آخر إلى الأرض العُمانية التي تمتدّ بجذورها في أعماق التاريخ العربي الإسلامي.أعقبتها كوكبة أخرى يعرض لها الصقلاوي بحسب توفر المعلومات التاريخية عن حياتها ووضعها الشعري والأغراض والقضايا الشعرية التي تناولتها، مثل الشاعر أحمد بن سعيد الخروصي (الستالي) أواخر القرن السادس الهجري، والشاعر سالم بن غسان بن راشد الخروصي (اللواح) في القرن التاسع الهجري، ثم الشاعر موسى بن حسين بن شوال (الكيذاوي) من شعراء الدولة النبهانية في هذا القرن أيضاً، ومن ثمّ توالى ذكر عدد آخر من الشعراء ظهروا بين الحادي عشر والقرن الرابع عشر الهجريين أمثال راشد بن حميس الحبسي وسعيد بن مسلم بن سالم (أبو الصوفي) وسليمان بن سعيد بن ناصر الكندي (أبو سلام) وعامر بن خميس المالكي (أبو مالك) وعبد الله بن سعيد الخليلي وعيسى بن صالح الطائي وعبد الله بن عامر العزري وماجد بن خميس العبري ومحمد بن شيخان السالمي (ابن شيخان) ومحمد بن عبد الله المعولي وناصر بن سالم بن عديم الرواحي (أبو مسلم البهلاني) وهلال بن بدر البوسعيدي، وقد أتى الصقلاوي على كلّ منهم بكمٍّ وافٍ من المعلومات التاريخية والفنية على نحو يفضي إلى أهميتهم ودورهم في صناعة الخطاب الشعري العُماني.يذكر الصقلاوي ثلاثة شعراء آخرون ظهروا بين القرن الثالث عشر والسادس عشر الميلاديين وهم حميد بن محمد بن رزيق (ابن رزيق) وأحمد بن حمدون الحارثي وسليمان بن سليمان النبهاني، استكمالاً للتصوّر الزمني الذي يربط الماضي بالحاضر في متوالية زمنية شعرية لا تنتهي ولا تقف عند حدّ معين.يأتي الصقلاوي بعد ذلك إلى شعراء عُمان في العصر الحديث في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين؛ أولئك الذين يمكن وصفهم بالروّاد، ويبدأ بالشاعر هلال بن سعيد بن ثاني (ابن عرابة) ثم الشاعر خميس بن وسيم الأزكوى (أبو وسيم) وأخيراً الشاعر عبد الله بن محمد الطائي، ضمن متوالية شعرية تحفر في الزمان والمكان من أجل تكريس نموذج شعري عُماني يمتدّ في أعماق الشعرية العربية، وتكشف هذه المتوالية التي تعرض على شاشتها أسماء شعرية حاول الصقلاوي التعريف بها على أكثر من صعيد بؤرية نقدية ناضجة، هذه الرؤية التي استنطقت التاريخ الشعري العربي في أغلب عصوره لبناء الصورة الشعرية العُمانية الضاربة في عمق الزمن، من بدايات العصور الإسلامية إلى مطالع القرن العشرين وبكل ما يحمله هذا الزمن المترامي الأطراف من تجليات، على النحو الذي يتأسس فيه خطاب أدبي عُماني له جذور حية في التاريخ العربي الإسلامي حتى الوقت الراهن.تتنوع الموضوعات التي تناولها كتاب الربيعي "تحولات الخطاب النصي، مقاربات في المشهد الإبداعي العُماني" على مستوى القضايا والأسماء الأدبية العُمانية والمعالجات النقدية، فبدأ على مستوى الخطاب الشعري العُماني بـ"عبد الله الخليلي وجذور الحداثة الشعرية، في التجربة الكلاسيكية العُمانية"، وأسنده بموضوع "جاذبية

الانتباه إلى الأشياء، المشهد الشعري العُماني الجديد"، منتقلاً إلى مجموعة من الموضوعات التي تكشف عن جوهر الخطاب الأدبي العُماني المعاصر مثل "(الخطوة الأولى لاجتياز قماطي) لعلي المخمري: إغواءات الطفولة" و"مراودات صالح العامري: رعشة اللغة" و"سيجارة على سطح بين إسحاق الهلالي: مركب طرفة بن العبد.. (هذا الليل لي) للشاعر هلال الحجري، و"خفقات ذاتية على نافذة نسر جريح، السؤال بؤرة للاشتغال الشعري" و"قراءة في مجموعة (هل؟) للشاعر ناصر البدري". فضلاً عن موضوعات أخرى أثرت الصورة العامة للكتاب مثل "عندما يضيء وهج الماضي نوافذ الحاضر، قراءة في (وحيداً كقبر أبي) للشاعر حسن المطروشي" و"إصغاء لنبض التجربة الشعرية العُمانية الشابة" و"(الهيولى) لزهران القاسمي: اكتمال الدائرة" و"أبدية مشردة على خطوط التحولات" ثم "عندما تكون القصيدة مثل طيران الطيور" و"(علي المخمري) يلقي أسئلة الحياة والموت في (غيابات الجبّ)" ثم "كائنات الظهيرة" لعوض اللويهي: الطفولة ملاذاً آمناً من انقلابات المجاز" و"تجليات المكان في "بيت السيح" للشاعر عادل الكلباني" و"المسكوت عنه في (حز القيد) لمحمد عيد العريمي" ثم "تقنيات الحوار في (سفر هو حتى مطلع الشمس) لسمير العريمي" و"عندما يبلل ندى الشعر أجنحة القصة، ثم "تجليات الموت في كتابات (فايزة اليعقوبية)"، وتدور معظمها في فلك الخطاب الشعري لأهميته وقوة حضوره في المشهد الأدبي العُماني المعاصر .يتناول الكتاب على صعيد المسرح مادة مهمة عنوانها "آمنة الربيعة في أعمالها المسرحية: شخصيات متخمة باليأس تتعلق بأهداب القصيدة"، مشفوعة بشبكة إضاءات حول المسرح العُماني تنوّعت بين"الحلم.. والتجريبية في الكتابة المسرحية– نشيد الماء.. نشيد الحياة –بوح سلمى.. طفولة ذاكرة الرحبي –العريمي ومسرح الطفل – عصافير علي الراسبي الجميلة"، وبهذا يكون الربيعي قد حقق لكتابه حضورا مميزا على صعيد الكشف عن خصوصية الخطاب الأدبي العُماني المعاصر، وهو يخوض في معظم الأجناس الأدبية التي هيمنت على هذا الخطاب في الراهن الثقافي داخل سلطنة عُمان

نتائج البحث:

أكّد بحثنا في توصّلاته ونتائجه البحثية –من خلال رصده لمجموعة كتب نقدية اشتغلت على الخطاب الأدبي العُماني المعاصر– على قيمة وحيوية هذا الخطاب، فهو جزء لا يتجزأ من الخطاب الأدبي العربي المعاصر على المستويات كافة شكلاً ومضموناً ورؤية، على الرغم من الخصوصية التي يتمتع بها في المكونات الداخلية والتفاصيل المتعلقة بتأثير البيئة والتاريخ والجغرافيا وغيرها، لكن هذا الخطاب بالمجمل هو خطاب أدبي عربي بكل ما في هذا التعبير من خصوصيات وسمات وخصائص.

مصادر البحث ومراجعه

- الأدب والتغير الاجتماعي في سورية، عبد الله أبو هيف، دراسة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٠.
- أشرعة سومرية، حوارات في الشعر والمسرح مع عبد الرزاق الربيعي، تحرير وتقديم علي جبار عطية، والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠٢١.
- آفاق النظرية الأدبية الحديثة، د. السيد إبراهيم، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨.
- البنية السردية للقصة القصيرة، د. عبد الرحيم الكردي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٥.
- مقاربات في المشهد الإبداعي العُماني، عبد الرزاق الربيعي، الجمعية العُمانية للكتّاب والأدباء، مسقط، دار الفرقد، دمشق، ٢٠١١.
- حكايات تحت أشجار القرم (تأملات في صور من الحياة)، عبد الرزاق الربيعي، الآن ناشرون وموزعون، عمّان، ط١، ٢٠١٩.
- الخطاب الأدبي العربي بين العام والخاص، د. تحسين منصور عبد الله، مجلة الرافد الجديد، الجزائر، العدد ٣، السنة ٢، ٢٠٠١.
- شعراء عُمانيون، سعيد الصقلاوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.
- فصول في نقد الشعر العربي الحديث، د. ياسين الأيوبي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٩.
- في الأدب العُماني الحديث، يوسف الشاروني، دار رياض الريس للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
- القصة القصيرة في سورية . قص التسعينات، د. نضال الصالح، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.
- مع الأدب العُماني، نقاشات ومداولات وتطلعات، أحمد الفلاحي، دار رياض الريس للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٠.
- مناهج النقد الأدبي بين التعددية والتكامل، د. عبد المجيد زراقط، جريدة القدس العربي، لندن، ٧ إبريل، ٢٠٢٢.
- من النص إلى الخطاب، رؤية نظرية وإجرائيةمنتصر عبد الغفار الوردي، مجلة علامات، الموصل، العدد ١١، السنة الأولى، ٢٠١٨
- ناقوس تودوروف، حسن عبد الرزاق، مركز النور الإليكتروني، ٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٨.
- نظرية النص الأدبي، د. عبد الملك مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ٢٠١٠.
- نوافذ على الأدب العُماني الحديث، جعفر العلواني، مجلة" بانيبال "الإسبانية في عددها السادس (خريف وشتاء ٢٠٢١).

- وردة الشعر وخنجر الأجداد، دراسة في الشعر العُماني الحديث، د. ضياء خضير، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٢.

هوامش البحث

[١] البنية السردية للقصة القصيرة، د. عبد الرحيم الكردي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٥: ١٣.

[٢] شعراء عُمانيون، سعيد الصقلاوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.

[٣] شعراء عُمانيون، سعيد الصقلاوي: ٧.

[٤] الخطاب الأدبي العربي بين العام والخاص، د. تحسين منصور عبد الله، مجلة الرافد الجديد، الجزائر، العدد ٣، السنة ٢، ٢٠٠١: ٨٤.

[٥] شعراء عُمانيون: ٧-٨.

[٦] شعراء عُمانيون، من التقديم الذي وضعه للكتاب د. أحمد درويش: ١١.

[٧] في الأدب العُماني الحديث، يوسف الشاروني، دار رياض الريس للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

[٨] مع الأدب العُماني، نقاشات ومداولات وتطلعات، أحمد الفلاحي، دار رياض الريس للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

[٩] تحولات الخطاب النصي، مقاربات في المشهد الإبداعي العُماني، عبد الرزاق الربيعي، الجمعية العُمانية للكتّاب والأدباء، مسقط، دار

[١٠] تحولات الخطاب النصي، مقاربات في المشهد الإبداعي العُماني: ٧.

[١١] شعراء عُمانيون: ٧.

[١٢] ، رؤية نظرية وإجرائية، د. منتصر عبد الغفار الوردي، مجلة علامات، الموصل، العدد ١١، السنة الأولى، ٢٠١٨: ٤٩.

[١٣] شعراء عُمانيون: ٩.

[١٤] نوافذ على الأدب العُماني الحديث، جعفر العلواني، مجلة" بانيبال "الإسبانية في عددها السادس (خريف وشتاء ٢٠٢١)

[١٥] نظرية النص الأدبي، د. عبد الملك مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ٢٠١٠: ٤.

[١٦] تحولات الخطاب النصي، مقاربات في المشهد الإبداعي العُماني: ٧-٨، وينظر: ناقوس تودوروف، حسن عبد الرزاق، مركز النور

[١٧] شعراء عُمانيون: ١٠.

[١٨] نوافذ على الأدب العُماني الحديث، جعفر العلواني، مجلة" بانيبال "الإسبانية.

[١٩] مناهج النقد الأدبي بين التعددية والتكامل، د. عبد المجيد زراقط، جريدة القدس العربي، لندن، ٧ إبريل، ٢٠٢٢.

[٢٠] آفاق النظرية الأدبية الحديثة، د. السيد إبراهيم، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨: ١١.

[٢١] تحولات الخطاب النصي، مقاربات في المشهد الإبداعي العُماني: ٨-٩.

[٢٢] شعراء عُمانيون، مقدمة د. أحمد درويش: ١٣-١٤.

[٢٣] وردة الشعر وخنجر الأجداد، دراسة في الشعر العُماني الحديث، د. ضياء خضير، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٢.

[٢٤] القصة القصيرة في سورية . قص التسعينات، د. نضال الصالح، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥: ١٢٦.

[٢٥] تحولات الخطاب النصي، مقاربات في المشهد الإبداعي العُماني: ٩.

[٢٦] تحولات الخطاب النصي، مقاربات في المشهد الإبداعي العُماني: ١٠.

[٢٧] شعراء عُمانيون، مقدمة د. أحمد درويش: ١٤-١٥.

[٢٨] أشرعة سومرية، حوارات في الشعر والمسرح مع دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠٢١: ١٩٦.

[٢٩] شعراء عُمانيون، مقدمة د. أحمد درويش: ١٥.

[٣٠] فصول في نقد الشعر العربي الحديث، د. ياسين الأيوبي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٩: ١٣.

[٣١] الأدب والتغير الاجتماعي في سورية، عبد الله أبو هيف، دراسة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٠: ١٨.

[٣٢] حكايات تحت أشجار القرم (تأملات في صور من الحياة)، عبد الرزاق الربيعي، الآن ناشرون وموزعون، عمّان، ط١، ٢٠١٩: ٦٣.